صلة العرفان بالبرهان – كتاب المنقذ من الضلال للغزالي أنموذجا.

The relationship between Al-Irfan and Al-Burhan
-The Book of Savior from Delusion to Al-Ghazali as a model-

آمال بوغانمي *
جامعة الزيتونة، تونس، تونس

Amel Boughanmi
Ez-Zitouna Univesity , Tunis, Tunisia

البريد الإليكتروني: *boughanmiamel999@gmail.com*

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2021/05/29
تاريخ القبول: .2022 /01/29
تاريخ النشر: 2022 /06 /30
****

الكلمات المفتاحية:
المعرفة؛
العلم؛
العرفان؛
البرهان؛
الغزالي .

الملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)

ظهر الغزالي في لحظة متأخرة ابستيميّا، حين اكتمال المعرفة بعد خمسة قرون و تحصيل علوم السابقين، لحظة فارقة في تاريخ الفكر الإسلامي الوسيط، بدا من خلالها تحول نوعي في علم المنطق و العلوم الشرعية ، فأهمية المرحلة تكمن في استيعاب تطوّر المدرستين المحلية (كلامية - فقهية - صوفية) و الوافدة (المنطق - الفلسفة) و كيفية حصول التّغيير الجذري داخل نظام المعرفة عند الغزالي، حاول من خلالها خلق موضوع لعلم المنطق و خلق منهج لعلم شرعي، فنحاول من خلال هذا البحث أن نبين كيف حوّل الغزالي العلوم المحضة إلى علوم قابلة للتطبيق من خلال أنموذج العرفان و البرهان.

فكيف حوّل الغزالي العرفان إلى معرفة برهانيّة ؟

---

* المؤلف المرسل

Abstract **: (not more than 10 Lines)**

Al-Ghazali appeared at a late epistemic moment, when knowledge was completed after five centuries and after acquiring the sciences of the previous ones, a defining moment in the history of medieval Islamic thought, through which a qualitative shift appeared in the science of logic and legitimate sciences.

The importance of the stage lies in understanding the development of the two local schools (verbal - jurisprudential - mystical) and the incoming (logic - philosophy) and how the radical change occurred within the knowledge system of Al-Ghazali, through which he tried to create a topic for logic and create a methodology for the legitimate science, so we try through this The research is to show how Al-Ghazali transformed pure sciences into workable sciences through the model of Al-irfan and proof.

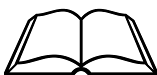
How did Al-Ghazali transform Al-irfan into knowledge Al-Burhan ?

Article info

Received
29/05/2021
Accepted
29/01/2022
Publication
30/06/2022

******

Keywords:
knowledge;
science;
Al-irfan;
Al-burhan;
Al-Gazzali



1. مقدمة:

ظهر الغزالي في لحظة متأخرة ابستيميّا لحظة اكتمال المعرفة بعد خمس قرون و تحصيل علوم السابقين و هي لحظة فارقة في تاريخ الفكر الإسلامي الوسيط، بدا من خلالها تحول نوعي في علم المنطق و صلته بالعلوم الشرعية ، فأهمية المرحلة تكمن في استيعاب تطوّر المدرستين المحلية (كلامية- فقهية – صوفية) و الوافدة (المنطق - الفلسفة) و كيفية حصول التّغيير الجذري داخل نظام المعرفة عند الغزالي حاول من خلالها خلق موضوع لعلم المنطق و خلق منهجا لعلم شرعي و نحاول من خلال هذا البحث أن نبين كيف حوّل الغزالي العلوم المحضة الى علوم قابلة للتطبيق من خلال أنموذج العرفان و البرهان. فتتلخّص الإشكاليّة الأساسيّة التي يسعى هذا المقال إلى طرحها في السؤال المركزي التالي:

كيف حوّل الغزالي العرفان إلى معرفة برهانيّة ؟

و يمكن أن تتفرّع عن هذا السؤال الرئيسي أسئلة فرعيّة لمزيد توضيح الإشكاليّة:

- ما هي صلة التفلسف العقلي بالتصوّف أو العرفان عند الغزالي؟
- ما هي العلاقة بين علم المعاملة و علم المكاشفة عند الغزالي؟
- ما المقصود بالتصوّف العملي في فكر الغزالي؟

و في تقديرنا أنّ هدف المقال ليس مجرّد عرض فكر أحد كبار أعلام الأشاعرة حول مبحث العرفان و البرهان و إنّما هو بيان لموقف فكري يحثّ على إعادة النّظر في خصوصيّة المرحلة التي تبلورت فيها فلسفة الغزالي و فهم المنهج المتميّز الذي اِستثمره لتأسيس ما يجب أن يكون و دحض ما هو كائن.

و قد اِستدعت طبيعة المقال و تنوّع وحداته إعتماد المنهج التحليلي لتركيبته الوصفيّة و النقديّة قصد تبيان أنّ الصوفيّة أرفع طرق المعرفة و هي حقيقة الدّين، فمع التصوّف أخذ الغزالي سبيلا آخر في المعرفة و مع الغزالي أخذ التصوّف سبيلا آخر في الدّين.

و لقد اِهتمّ بهذه المسألة جملة من الباحثين في مقالات مماثلة نذكر على سبيل المثال لا الحصر الباحثة نصيرة صوالح لها مقال بعنوان "تجربة العرفان من الحقيقة إلى البيان قراءة في لغة التصوّف"، يليه مقال للباحث معمر قول بعنوان : رحلة العقل في البحث عن المعرفة "قراءة في كتاب المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي" ثمّ مقال آخر للباحث محمد حفيان بعنوان وحدة وجود أم سرّ الرّبوبيّة ملاحظات حول إسهامات أبي حامد الغزالي في إصلاح التصوّف الإسلامي...

و تنقسم خطّة هذا المقال إلى مبحثين توزّعا إلى أربعة مطالب إضافة إلى المقدّمة و الخاتمة.

و قد جاء المبحث الأوّل بعنوان دواعي التجربة الصوفيّة الغزاليّة فصّلناها في مطلب أوّل بعنوان دواعي ذاتيّة و مطلب ثان بعنوان دواعي موضوعيّة.

أمّا المبحث الثاني يدور حول نظريّة المعرفة عند الغزالي و بيان منهجه الشكّ طريق إلى اليقين من خلال مطلبين تحصيل العلم اليقيني أوّلا ثمّ خواصّ علم النبوّة وصلتها بالعرفان البرهاني ثانيا.

2. المبحث الأول: دواعي التجربة الصوفية الغزالية

مر الغزالي بتجربة فريدة في التصوف تعكس ثقل ذهنيته المعرفية و الجانب الروحاني الوجداني عنده ، حيث مثلت هاتان الأخيرتان جدلا واسعا قبله في الفلسفة ، لكنه مثل نقلة نوعية في هذه الجدلية من خلال الخلفية السنية أولا و التفاعل الصوفي ثانيا ، فكانت تجربته محل اطلاع و استكشاف نعرف به كيف عاش الغزالي فكرة التصوف .

1.2 المطلب الأول: دواعي التجربة الصوفية الغزالية

عاش الغزالي تجربة خاصة و خاض غمارها بغية تحصيل المعرفة من خلال قراءة داخلية لمجتمعه. و هو تحقق المصداقية في الحكم على الفرق المحيطة به و مراجعة آراء المذاهب و النّحل المتفشّية في عصره ، و نقدّم جملة من النصوص تترجم لنا عن صدقيّة الغزالي في التمشّي الذي انتهجه في قراءة الواقع مركّزة على أهميّة الأفعال التي صاغها الغزالي بوصفها تفيد معنى الحركة و الفعل و المبادرة.... (أقتحم /أخوض /أتوغل /أتهجم /أتقحم /أتفحص /أستكشف...)

يقول الغزالي في النصّ الأول:" و لم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين الى الان، وقد أناف السن على الخمسين **أقتحم** لجة هذا البحر العميق و **أخوض** غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور و**أتوغل** في كل مظلمة و**أتهجم** على كل مشكلة و**أتقحم** كل ورطة و **أتفحص** عن عقيدة كل فرقة و **أستكشف** أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق و مبطل و متسنن و مبتدع"[1]

---

[1] الغزالي (أبو حامد): المنقذ من الضلال ضمن أبحاث في التصوف و دراسات عن الإمام الغزالي لعبد الحليم محمود ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت، 2003 م ، ص 55

و يضيف الغزالي في نص ثان: لقد كان التعطّش الى درك حقائق الأمور ، دأبي و ديدني من أول أمري و ريعان عمري غريزة و فطرة من الله وُضعتا في جبلّتي لا باختياري و حياتي حتي انحلّت عني رابطة التقليد و انكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد الصبا" [1]

"إن اختلاف الخلق في الأديان و الملل ثم اختلاف الامةّ في المذاهب مع كثرة الفرق و تباين الطرق بحر عميق ، غرق فيه الكثيرون و مانجا منه إلا الأقلون و كل فريق يزعم أنه هو الناجي" [2] (كل حزب بما لديهم فرحون) [3]

2.2 المطلب الثاني: دواعـي موضوعية

بعد استجماع البيانات من خلال التجربة المعاشة لأصناف الطالبين للحق توصّل الغزالي إلى ضرورة القيام بعملية إحصاء للفرق و العلوم كما يلي :

- إحصاء الفرق : قام الغزالي بعملية إحصاء الفرق إجابة عن سؤال :" أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم و غاية المذاهب و أغوارها و أحكي له ما قاسيته في استخلاص من بين الفرق مع تباين المسالك و الطرق و ما استأجرت عليه في الارتفاع عن حضيض التقليد الى بقاع الاستبصار" [4].

و قد انحصرت الفرق عنده في أربعة أصناف رتّبها على النحو التالي :

1) المتكلمون و هم يزعون أنهم أهل الرأي و النظر
2) الباطنية و هم يزعمون أنهم أصحاب التعليم و المخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم
3) الفلاسفة : و هم يزعمون انهم اهل المنطق و البرهان.
4) الصوفية و هم يزعمون انهم خواص الحضرة و اهل المشاهدة و المكاشفة [5]

- إحصاء العلوم و نقدها للتمييز بين محق و مبطل :

1- علم الكلام :"فصادفته علما وفيا بمقصوده غير واف بمقصودي "

"فلم يكن الكلام في حقي كافيا و لا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا"

---

[1] الغزالي . المرجع السابق . ، ص 56
[2] نفسه، ص 53
[3] المؤمنون ، ص 53
[4] الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص 54
[5] نفسه، ص 60

"فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء و كم من دواء ينتفع به مريض و يتضرر به اخر"

" لا يشفي غليله انما هو :"استخراج مناقضات الخصوم و مؤاخذاتهم بلوازم مسلماتهم و هذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئا أصلا.[1]

2- الفلسفة :أطلعه الله على منتهى علوم الفلاسفة في أقل من سنتين و بعد التفكير في ما انتهى إليه فحصرهم في ثلاثة أقسام :

- قسم يجب التكفير به (الدهريون)
- قسم يجب التبديع به
- قسم لا يجب إنكاره أصلا .

أما الذي لا يجب انكاره أصلا : هي العلوم التي "تنظر في طرق الأدلة و المقاييس وشروط المقدمات البرهان و كيفية تركيبها و شروط الحد الصحيح و كيفيّة ترتيبه"[2] مثل العلوم الرياضية و المنطقيات.

و قد ثمّن الغزالي دور الفلسفة اليونانية و المنطق و الرياضيات من خلال ما قدمه أرسطو و أفلاطون قائلا "الالهيون هم المتأخرون مثل سقراط و أفلاطون و أرسطو طاليس" "أرسطو طالس هو الذي رتب لهم المنطق و هذّب لهم العلوم" " و هم بجملتهم ردّوا على الصنفين الأوّلين في التجربة و الطبيعية " [3]

3- العلوم السياسية : الأمور التربوية و الايالة السلطانية

4- العلوم الخلقية : حصر صفات النفس و أخلاقها و أنواعها و كيفية معالجتها أما الطبيعيات فلا إنكار فيها إلا في مسائل معينة ذكرتها في كتاب تهافت الفلاسفة .

5- الالهيات مجموع ما غلطوا فيه عشرين أصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها و تبديعهم في سبعة عشر.[4]

---

[1] الغزالي، المرجع السابق ، ص 64

[2] نفسه ، ص 67/66

[3] نفسه ، ص 67

[4] الغزالي (أبو حامد): معارج القدس في معرفة مدارج النفس (السلسلة الكلامية) ، تحقيق أسعد جمعة ، داركيرانس للطباعة و النشر و التوزيع، ط 2 ، أريانة 2014

أما الثلاثة التي يجب تكفيرهم فيها هي :

- إن الاجساد لا تحشر
- الله يعلم الكليات و لا يعلم الجزئيات
- قوله بقدم العالم و أزليته .

و يؤكد الغزالي أن هذه المسألة الفلسفية "الالهيات" لم تحضى بالاهتمام بحثا و دراسة في الفكر الإسلامي قوله : " لم أر أحدا من علماء الإسلام صرف عنايته و همته الى ذلك".

ويضيف أيضا " لم يكن في كتب المتكلمين من اشتغلوا بالرد عليهم إلا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض و الفساد ، فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه و الاطلاع على كنهه رمى في عماية "[1].

أشار في مواضع أخرى من كتبه مثل تهافت الفلاسفة ما يلي" أن أكابر الفلاسفة لا ينكرون وجود الله "[2].

و أيضا الى" مسألة في إبطال قولهم بقدم العالم"[3] "و مسألة في إبطال قولهم إن الأول لا يعلم الجزئيات"[4].

كما أن الغزالي لم ينس العمل و المجهود الفلسفي الذي قام به كل من الفارابي و ابن سينا في نقل الفلسفة اليونانية و خاصة تقريب علم المنطق الى أذهان المسلمين و تطبيقه على العلوم الشرعية فقال فيهما مثمنا جهدهما " على أنه لم يقم بنقل علم أرسطو أحد من متفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين و ما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط و تخليط"[5]

6- مذهب التعليمية: القول بالحاجة الى التعليم والمعلم بل لابد في معلم معصوم لقد نقد الغزالي مذهبهم في قوة وعنف[6] و يّتبدّى ذلك جليا في كتابه فضائح الباطنية .

---

[1] الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص 64

[2] الغزالي (أبو حامد) : تهافت الفلاسفة (السلسلة الكلامية) ، ص 30/29

[3] نفسه، ص 68//49

[4] نفسه، ص 197/ 208

[5] الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص 67 هذين الرجلين بقصديهما (الفارابي و ابن سينا)

[6] نفسه، ص 63

7- طرق الصوفية :

يؤكد الغزالي على أهمية الزمن في خوض التجربة الصوفية ، فتحتاج هذه المسألة الى تركيز و تمحص و عزلة و خلوة تقتضي برهة من الزمن لتحصيل المعرفة ، المنشودة و القدرة على الحكم بعد المعاينة و التشخيص فيقول :" ودمت على ذلك مقدار عشر سنين "[1]

و قد تبيّن للغزالي بعد خوض هذه التجربة المجدية و الهادفة حقيقة الصوفيّة فعرّفهم كما يلي :" أنى علمت يقينا أنّ الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق."[2]

كيف توصل الى هذه النتيجة ؟ إن خوض التجربة الصوفية جعلته يدرك أهمية الجمع بين العلم و العمل و تحصيل العلم الذي يتمّ بمطالعة كتب أئمتهم ذكر أمثلة منها : " قوت القلوب لابي طالب المكّي و كتب الحارث المحاسبي و المتفرقات المأثورة عن الجنيد و الشبلي و أبي يزيد البسطامي "

أمّا العمل فيتركز على كنه الهمة على الله تعالى و ذلك بالإعراض عن المال و الجاه و الشهرة و تفرّغ للخلوة و العزلة.

و عبّر الغزالي عن هذا المعني في قولته : " ثم أحسست بعجزي و سقط بالكلية اختياري، فالتجأت الى الله تعالى ، التجاء المضطرّ اللذي لا حيلة له ، فأجابني الذي يجيب المضطرّ اذا دعاه و سهل على قلبي الاعراض عن الجاه و المال و الأولاد و الاصحاب ."[3]

المحصلة : يتبدى لنا من خلال هذه التجربة ولادة غزالي جديد ذي رؤية استبصاريه نقدية ، فيعتبر هذا التحول المنهجي لحظة ضرورية في تجربة الغزالي التي تميزت بعقلية جريئة قامت على الاستقصاء المستفيض عن طريق التعلم بالخبرة و الممارسة، و الغاية المنشودة من ذلك الوصول إلى :

---

[1] الغزالي ، المرجع السابق ، ص 88

[2] نفسه، ص 88(أنظر أيضا إلجام العوام عن علم الكلام (السلسلة الكلامية) ، الباب الأول ، التسليم لأهل المعرفة ، ص 69 -70)

[3] نفسه، ص 87

- حل رابطة التقليد
- كسر العقائد الموروثة
- و الارتفاع الى الاستبصار

يقول الغزالي مؤكدا هذا المعنى :"ما إستفدته من علم الكلام و ما اجتويته ثانيا في طريق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام و ما ازدريته ثالثا في طريق التفلسف و ما ارتأيته آخرا من طريقة التصوف "[1]

إذن تقتضى المعرفة عند الغزالي تهيئة ما قبلية الى حين لحظة الاستعداد الموصلة الى الشك فيما يرى و يسمع و يقرأ و يقول و يعتقد.

إن بلوغ لحظة الشك التي استمرت طيلة شهرين عند الغزالي ليس بالأمر الهين بل هي مرحلة عنيفة و شاملة و حادة بفضلها تم تحديد الخارطة المنهجية للإمام الغزالي التي مكنته من رسم طريق المعرفة في ثقة المجرب و إحكام الخبير و أدرك حينها أن الغرض من الشك ليس هدم الآراء بقدر ما هو هدم المنهج التقليدي الذي استندت اليه هذه الآراء و المذاهب و من هنا فقد أسس للشك البناء المناقض للشك الرّيبـبي و الهدّام.

---

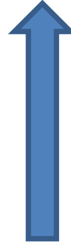
[1] الغزالي . المنقذ من الضلال ، ص 54

3. المبحث الثاني : نظرية المعرفة عند الغزالي : (الشك طريق إلى اليقين)

سنحاول تفصيل تجربة الغزالي مع المحسوسات والمعقولات من خلال الرسم التالي :

الادراكات العقليّة

«أما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتخيّل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم انّه لم يكن لجميع متخيّلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟»



-امتحن العقل ←طريق المعرفة العقلية

العقل قاصر لأنّ التّصور أساس المعمولات لا يقوم إلا على الحس.

التفكير المجرد عن الحس معدوم

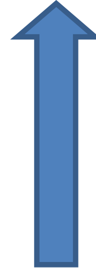
الواجبات الجائزات المستحيلات





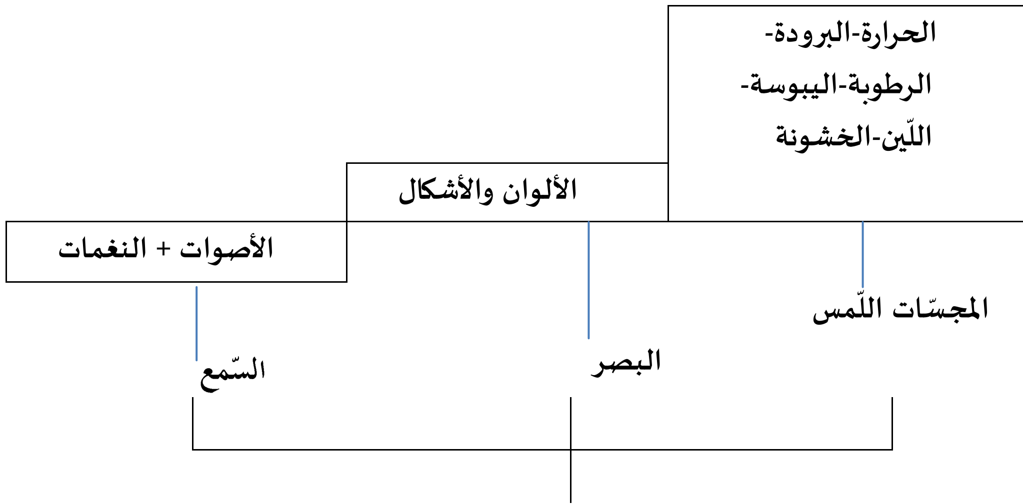
العقليات

الإدراكات الحسية



اختبر الحس ←طريق إلى المعرفة المادية

<=> الحس عاجز عن الوصول بنا إلى الغيب غير المحسوس. مثال النظر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار الدينار ثم الأدلة الهندسية تدلّ على أنه أكبر من الأرض.



(عالم المحسوسات)

يتبين لنا من خلال هذا الرسم الذي يترجم لنا عن تفاعل الغزالي مع الحس و العقل قصد بلوغه لحظة الحسم التي أعلن من خلالها بالعجز عن الادراك ، فكيف السبيل إذن الى الخروج من هذا المأزق الفكري ؟

يقول الغزالي: «ثمّ أحسست بعجزي و سقط بالكلّية اختياري ،فالتجأت الى الله تعالى التجاء المضطرّ الذي لا حيلة له فأجابني الذي يجيب المضطرّ إذا دعاه و سهّل على قلبي الإعراض عن الجاه و المال والأولاد والأصحاب».[1]

إن الإحساس بالعجز دفعه إلى اللجوء إلى الله لطلب المعرفة الضرورية لطلب اليقين و من هذا المنطلق فقد أسس الغزالي لميتافزيقا تختلف عن المعرفة المألوفة و الموروثة، تصرح بأن منتهى معرفة الله تعالى هو الاعتراف بالعجز عن الادراك و "العجز عن الإدراك إدراك ".

فالحل إذن هو البحث عن سبل إدراك العلم اليقيني على حد قول الغزالي : "فقلت في نفسي أولا إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم "

[1] الغزالي، المرجع السابق ، ص 87

1.3 المطلب الأول: تأسيس العلم اليقيني

ماهي حقيقة العلم و ما المقصود بالعلم اليقيني و الحقيقي ؟

لعل هذا النص خير دليل على توضيح مفردات السؤال المطروح يقول فيه الغزالي ما يلي :

الأدلة البرهانية للاستقلال عن العلم اليقيني فظهر لي : أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب و لا يقارنه إمكان الغلط و الوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطإ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين . مقارنة أو تحديّا بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا و العصا ثعبانا لم يورث ذلك شكّا ولا انكارا ، فإني إذا علمت أنه العشرة أكثر من الثلاثة، فلو قال لي قائل بل الثّلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها و شاهدت ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي و لم يحصل لي منه التعجب في كيفية قدرته عليه . فأما الشّك في ما علمته فلا

ثمّ علمت " أن كل ما لا أعلمه على هذا التوجه ولا أتيقنه هذا النوع في اليقين فهو علم لا ثقة به و لا أمان معه و كل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني "

التعليق على هذه النصوص :

يؤكد الغزالي أن العودة الى الضرورة العقلية مقبولة و موثوقا بها على امل و يقين أن لا يكون ذلك "بنظم دليل و ترتيب كلام" بل " بنور قذفه الله تعالى في الصدر" و ذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف .

كيف يمكن للعقل الإنساني أن يدرك هذا العلم اليقيني ؟ "يرى الغزالي أن هناك من يرى أن جلاء البصيرة ممكن في جوهر الانسان و لكن تبقى هذه المعلومة دعوى من الدعاوى التي ينكرها الكثيرون و تحتاج إلى إثبات .

إذن ماهي الأدلة المنطقية (البرهانية) القاطعة على إثبات العلم اليقيني؟

كيف حول الغزالي العرفان الى معرفة برهانية ؟

2.3 المطلب الثاني: خواص النبوة و التأسيس للعرفان البرهاني

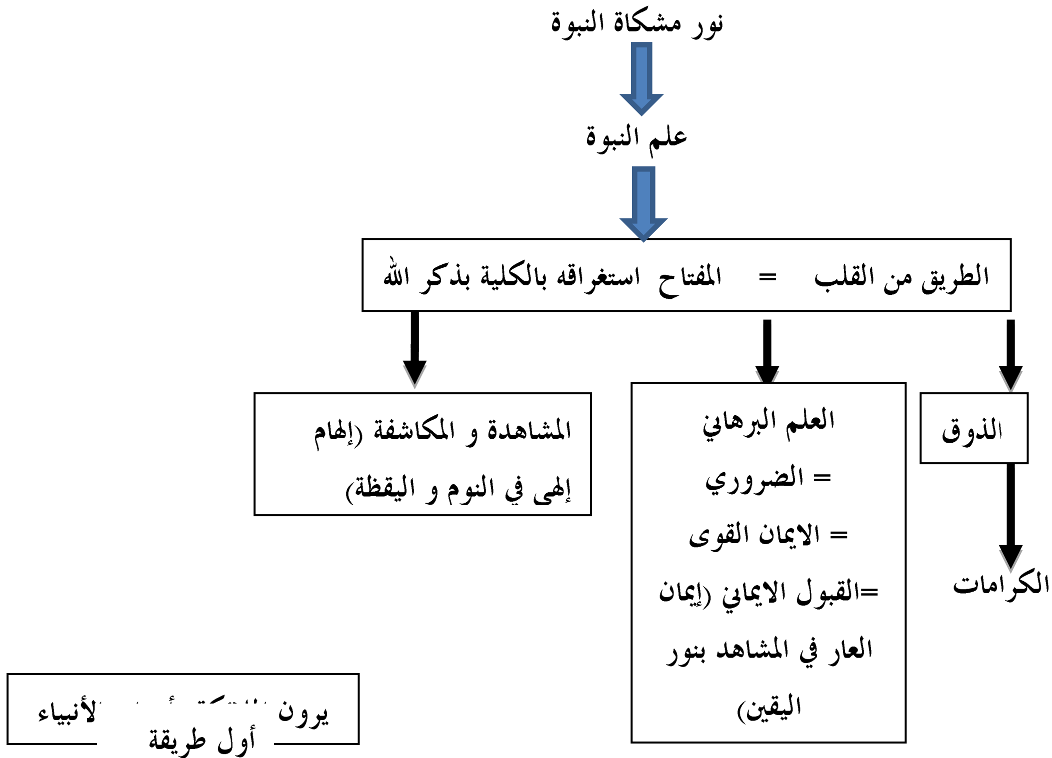
ماهي حقيقة النبوة و ماهي خاصيّـــــــاتها ؟

للإجابة عن هذا السؤال الرئيس في فلسفة الغزالي رأينا من الضروري تصدير هذا العنصر بقولتين مهمتين تخدم النسق المعرفي وتخدم الفكرة التي ينبغي توضيحها و استجلاء معانيها : " علم النبوة" التي أطلق عليها الغزالي مسمي :

♦ مشكاة النبوة ♦ نور النبوة ♦ حقيقة النبوة

" فإن جميع حركاتهم و سكناتهم في ظاهرهم و باطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، و ليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"

" ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة و خاصياتها لا بد من التنبيه على أصلها لشدة مسيس الحاجة إليها "[1]



هذا الرسم هو تجسيد في الغالب لهذه القولة التي أدلى بها الغزالي في عزلته يقول فيها :

[1] الغزالي ، المرجع السابق ، ص 89

"ثم إني واظبت على العزلة و الخلوة قريبا في عشر سنين و بان لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها : مرّة بالذوق و مرّة بالعلم البرهاني و مرة بالقبول الايماني أن الانسان خلق من بدن و قلب و أعني بالقلب حقيقة روحه التي محل معرفة الله"[1]

تتمثل درجات التجربة الصوفية التي تم إستجلاءها من تجربة الغزالي كالاتي :

- التحقيق بالبرهان علم
- ملابسة عين تلك الحالة ذوق
- القبول من التسامح و التجربة بحسن الظن إيمان

اذن النبوة هي الدليل القاطع على جلاء البصيرة لدى الانسان كيف استدل الغزالي على ذلك :

يشرح الغزالي المسألة على النحو التالي :

- دليل إمكان النبوة : وجودها
- دليل وجودها : وجود معارف في العالم مثل علم الطب و علم النجوم لا تدرك عنه الغزالي إلا بالهام إلهي و لا سبيل إليها بالتجربة

و هذا دليل برهاني على إمكان وجود مدركات تتجاوز مدركات العقل أو خارج مدركات العقل (معجزات الأنبياء).

- عجائب الرؤيا الصادقة : انكشاف الغيب في النوم و لا يستحيل ذلك في اليقظة.
- إخبار الرسول صلى الله عليه و سلم عن الغيب و أمور في المستقبل ، و إذا أجاز للنبي صلى الله عليه و سلم جاز لغيره (الولاية) " الولي لزمه أن يقر بالبصيرة و هو باب الالهام و النفث في الروع و الوحي "[2]

خلاصة القول أن الامام الغزالي يتشبث بالرؤيا كبرهان و دليل على أن هناك الة للمعرفة غير الحس و العقل " وقد قرب الله تعالى ذلك خلفه بأن أعطاه نموذجا من خاصية النبوة و هو النوم إذا النائم يدرك ما سيكون من الغيب "[3]

الغاية من التجربة الصوفية التي توصل من خلالها إلى معرفة اعلى المراتب و هو العلم بالنبوة و قد أثبت بالأدلة البرهانية أن هذا العلم هو مفتاح المعرفة البرهانية الذي يدفع الى مراجعة وقراءة الموروث من جديد و

---

[1] الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص 98

[2] الغزالي (أبو حامد): إحياء علوم الدين ، تقديم عبد المعطي أمين قلعجي دار صادر ، بيروت ، دت ص 389

[3] الغزالي، المنقذ من الضلال ، ص 98

احياء العلوم على حد تعبيره و الأهمّ من ذلك هو التأسيس للتصوف البرهاني الذي عبر عنه صاحب المنقذ بقوله : " و أنا أبغي أن أصلح نفسي و غيري ، و لست أدري أأصل إلى مرادي أم أخترم دون عرضي ؟ و لكني أومن ايمان يقين و مشاهدة و أني لم أتحرك لكنه حركني و أني لم أعمل لكنه استعملني فسأله أن يصلحني أولا ثم يصلح بي و يهديني ثم يهدي بي ، و أن يريني الحق حقا و يرزقني اتباعه و يريني الباطل باطلا و يرزقني اجتنابه"[1]

إذا العلم بالنبوة هو تحصيل للعلم الضروري و بلوغ النور الذي يقذفه الله في الصدر و عبر عنه الغزالي بما يلي : " فهذا هو : منها تحصيل العلم الضروري بتصديق النبي عليه الصلاة و السلام ، فجرب و تأمل القران و طالع الاخبار تعرف ذلك بالعيان "[2]

فماهي إذن تجليات النور ؟

4. الخاتمة

- المنقذ من الضلال من الكتب التي نادرا نجد ما يماثلها في الثقافة الشرقية.

- المنقذ هو ترجمة عن التدرج الفكري و الانتفاضة العقلية و الجرأة العلمية الغزالية.

- الغزالي له السبق في تأسيس منهج الشك البنّـاء و ان كان عبد الحليم محمود اشار الى الحارث المحاسبي في كتابه الوصايا الذي قص فيه أيضا حيرته و شكه ثم يقينه و هذا يؤكد أثر المحاسبي على الغزالي.

- أسّس الغزالي للتصوف البرهاني و ربط بين المعرفة و الغيب لما له من آثار عميقة على الفرد و المجتمع في علاقتهم بالدين.

- الغزالي له السبق في تأسيس العلوم الشرعية على المنطق للمحايثة بين الفكر الوافد و الفكر المحلي.

---

[1] الغزالي، المرجع السابق، ص 101، أُنظر أيضا ميزان العمل (السلسلة الكلاميّة) جزء "بيان علامة المنزل الأوّل في منازل السائرين إلى الله"، ص223-230.

[2] نفسه، ص 100

- الغزالي يؤكد على الإفادة من المرجعيات المعاصرة و عدم الانطواء و الاكتفاء بالمحلي لأن ذلك قد يؤدي الى السقوط في الدغمائية و التقليد فلا بد من مواكبة تطور العلوم و فهم الدين مقايسة مع التطور العلمي و الفكر الإنساني.

- إنّ المنهجيّة التي اعتمدها الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال تتأسّس على أرضيّة التوافق بين العرفان و البرهان لا يرى بينهما أي تفاوت.

- جعل الغزالي من التصوّف طريقا واضح المعلم إلى المعرفة و الفناء في التوحيد

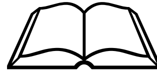
و السعادة بمثابة رحلة بحث عن الحقيقة من البرهان إلى العرفان أو قراءة مطّردة لتتبع تطوّر الفكر الفلسفي.

- يعتبر الغزالي أنّ التحوّل من البرهان إلى العرفان نهاية كلّ علم و مطلب كلّ عارف و نجاة كلّ باحث الذي يحاول أن يؤسّس أرضيّة المماهاة بين البرهان المنطقي .

و التأمّل الباطني (الحدس). كلاهما يلتقيان لأنّهما يمثّلان نشاط عقلي فلسفي محض.

- أشار محمد إقبال الى أهمية التجديد في الفكر الإصلاحي و ذكر الغزالي في كتابه " تجديد الفكر الديني "

- تأثر ابن الرشد بالغزالي من خلال كتابه " فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من اتصال".



5. قائمة المصادر والمراجع

(1) إحياء علوم الدين، الغزالي (أبو حامد) ، تقديم عبد المعطي أمين قلعجي ، د.ت ، دار صادر ، بيروت
(2) إلجام العوام عن علم الكلام، الغزالي (أبو حامد)، تحقيق أسعد جمعة، ط2، 2014، دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع، أريانة
(3) تهافت الفلاسفة ، الغزالي (أبو حامد) ، تحقيق أسعد جمعة، ط2، 2014، دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع، أريانة
(4) تجديد الفكر الديني، إقبال (محمد) ، تحقيق محمد حسن زراقط ، ترجمه عباس محمود ، ط1، 2010، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت
(5) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، الغزالي (أبو حامد)، تحقيق أسعد جمعة، ط2، 2014، دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع، أريانة
(6) القسطاس المستقيم، الغزالي (أبو حامد)، الموازين الخمسة للمعرفة في القرآن، تحقيق أسعد جمعة، ط2، 2014، دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع، أريانة
(7) معارج القدس في مدارج معرفة النفس، الغزالي (أبو حامد)، تحقيق أسعد جمعة، ط2 ، 2014، دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع، أريانة
(8) مقاصد الفلاسفة ، الغزالي (أبو حامد)، تحقيق أسعد جمعة، ط2، 2014، دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع، أريانة
(9) ميزان العمل ، الغزالي (أبو حامد)، تحقيق أسعد جمعة، ط2 ، 2014 ، دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع، أريانة
(10) المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالي مع أبحاث في التصوّف ....، محمود (عبد الحليم)، ط1، 2013، دار الجبل ، بيروت
(11) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، حرف ع – د – ز.

